

الخامة واساليب تشكيلها في النحت عبر الحضارات القديمة

قيصر اسماعيل نصيف

المديرية العامة لتربية بغداد / الرصافة الاولى

Kaesarismeel@gmail.com

د. محمد عبد الحسين

جامعة بغداد / كلية الفنون الجمي

sculpor.m76@gmail.Com

الملخص:

يتضمن البحث مقدمة تناولت شكل النحت وما يركز عليه من مجسمات تلامس توظيف الخامات المتعددة رغم التغيرات في عملية النحت. وحددت مشكلة البحث بسؤال هو: كيف لنا أن نبين شكل الخامة مثل الطين ليبدو مماثلاً للمظهر المرئي وشخصية التمثال غير المرئية؟ وايضا حددت أهمية البحث بالتعرف على جماليات الخامة وألية تشكيلها. وتعد الخامة هي اداة يحقق من خلالها الفنان أهدافه الفنية حيث تساعده على اظهار مشاعره وافكاره في اشكال فنية جديدة. ويهدف البحث إلى بيان شكل الخامة في فن النحت عبر الحضارات القديمة، لإظهار التفاصيل الفنية المعبرة في النحت المعاصر ومنها الاقتصادية. ومن ثم تم تعريف المصطلحات. والتأكيد على توظيف الخامة وتشكيلها في النحت كإطار نظري تم من خلاله تحليل هذا المفهوم. وأخيرا تم تثبيت المصطلحات في نهاية البحث .

الكلمات المفتاحية: الخامة ، (النحت عبر الحضارات القديمة).

Abstract:

The research included an introduction that dealt with the form of sculpture and the basis on which figures touch the employment of multiple materials despite the changes in the process of sculpture. The research problem was identified with a question: How can we show the shape of the material, such as clay, to make it look similar to the visible appearance and the invisible figure of the statue? It also determined the importance of researching shrouds in aesthetically pleasing caves. The research aims to show the shape of the material in the art of ancient and even.

(**Keywords:**Material , formation in sculpture and ancient civilizations)

المقدمة:

يعد النحت فرعاً من فروع الفنون البصرية وفي نفس الوقت أحد أنواع الفنون التشكيلية، كما أنه يركز على إنشاء مجسمات ثنائية و ثلاثية الأبعاد. يمارس هذا الفن على خامات منها: الصخور والمعادن والخزف والخشب ومواد أخرى، عرف فن النحت منذ قديم العصور، أي في عهد الحداثة، إذ أجريت بعض التغيرات في عملية النحت وفي استخدام المواد والعمليات. ايضاً يمكن العمل بخامات العديد من المواد المتنوعة عبر عملية الإزالة التي منها: عملية التجميع كاللحام والتشكيل والصب، وبالتالي هو فن تجسدي يركز على إنشاء مجسمات ثلاثية الأبعاد للإنسان والحيوان، أو للأشكال التجريدية، فضلاً عن استخدام الجص أو الشمع، أو نقش الصخور أو الأخشاب. واساليب فن النحت يمكن تشكيلها في جوانب الإبداع الفني التشكيلي.

فن النحت من الفنون القديمة، والإنسان منذ بداياته كان له القدرة على التعبير النحتي، كما كان يعبر بوساطة الرسم، ويتعامل مع المجسمات الثلاثية الأبعاد على العكس من الرسم والتصوير الذي يتعامل مع الأبعاد الثنائية. ويمكن أن نجد نماذج النحت في الحضارات القديمة باختلاف أشكالها ومنها في الحضارات الفرعونية والرومانية واليونانية التي نجد فيها فن النحت من أكثر الفنون انتشاراً وتعبيراً عن الجو المحيط مع اختلاف غرض الاستخدام، وعادة ما كان المقصود من هذه النماذج هو النواحي الدينية للتعبير عن الآلهة المختلفة الخاصة بهم. وتتكون المنحوتات من الأعمال الفنية المكونة من مواد أخرى قابلة للتلف، وقد كانت مجموعة من المنحوتات القديمة تُصبغ بألوان زاهية.

هناك اشكالية تعد الخامة أساس كل ظاهرة جمالية، فهي تحدد الشكل وتصنع له شروطه، فضلاً عن لها دور مهم في الفن الحديث عامة والنحت خاصة من خلال إعطاء العمل الفني قيم شكلية ولونية وملمسيه وخطية وفضائية يحقق بوساطتها الفنان أهدافه الجمالية التي تساعد على تجسيد أفكاره وما يشعر به عند إنتاج الأشكال الفنية الحديثة المبتكرة. فعندما يعمل الفنان على انجاز تمثال معين وموضوع معين يفرز نوع من المحاكاة للنموذج المرئي، وهنا يمكن طرح تساؤلات تلامس مشكلة البحث، ومنها: كيف لنا بشكل الخامة مثل الطين ليبدو مماثلاً للمظهر المرئي وشخصية التمثال غير المرئية؟ وايضاً، حين يعمل على حز قطعة كبيرة من الخشب هل يسأل عن ماهية الاشكال والفضاءات التي تجسد، على نحو افضل، النسق الحي لنبتة القمح على سبيل المثال؟

وتكمن أهمية هذا الفن للامسته فنون مجاورة كثيرة، وايضا يهتم في فن الكهوف في جانبها الجمالي، ولأنها كانت تدل على المهارات التي أظهرها البشر في عصور ما قبل التاريخ، وفيما يتعلق باستخدام مواد مختلفة من الطبيعة كعناصر لأعمالهم. ويهدف البحث إلى بيان شكل الخامة في فن النحت القديم وحتى الحديث، لإظهار التفاصيل الفنية المعبرة في النحت المعاصر، وايضاً وظيفته تستهدف أغراضاً اقتصادية، كون أنها تشتغل على الخامات الأساسية التي استعملها الإنسان القديم في أعماله الفنية، ايضاً الأدوات التي صنعها واستخدمها في تنفيذ نتاجاته الفنية من رسوم ومنحوتات. وتحدد البحث في الفنون القديمة المحلية والعربية وايضا العالمية، ولأزمنة مختلفة ومتعددة.

تعريف المصطلحات:

١ - الخامة: المادة الأولية التي توجد على حالتها الطبيعية قبل أن تعالج أو تصنع الشيء. (معجم المعاني الجامع) .

التعريف الإجرائي لـ (الخامة):

تعنى الخامة بالتعدين في باطن الأرض أو على سطحها، ويسمى المعدن خاماً إذا كان يحوي ما يكفي من مادة، وايضاً مجموعة الفلزات التي يستخدمها الإنسان مصدرها الخامات الحديد المستخدم في صناعة الفولاذ، والرصاص المستخدم في البطاريات من معدن الماغنيسيوم المستخدم في الفيتامينات.

٢ - التشكيل: فعل تشكيل الشيء، العملية الفعلية للتشكيل. الأشياء التي تشكلت، بصورة معينة، بطريقة معينة، في مكان معين. والتي امتلكت ترتيب بنمط معين. (كلود عبيد ، ٢٠٠٥، ٩٣) .

التعريف الإجرائي لـ (التشكيل):

التشكيل صياغة بنائية فنية متميزة، يشير الى فكرة واقعة في مفرداته يولد بها النحات فكرة مختلفة عن مرجعها، والتشكيل هو ليس الفكرة ولكنه فكرة لها. وبنية التشكيل النحتي تتميز بوجود النمط والأسلوب والتقنية، وهذه جميعاً تحدد هوية بنية التشكيل التي يبتدعها النحات.

٣ - النحت: وردت كلمة النحت في (لسان العرب) بمعنى النشر والقشر، ونحت الجبل ينحته: قطعه وهو من ذلك. (ابن منظور، ب.ت، ٩٧).

التعريف الاجرائي لـ (النحت):

النحت هو إعادة تشكيل للمادة (الطين، الجبس، الحجر، الخشب، المعدن وغيرها) إلى تنظيم شكلي يشير إلى معنى، ويكون النحت على نوعين مجسم وبارز المجسم هو شكل ذو ثلاثة أبعاد (طول وعرض وعمق) منسق في فضاء حقيقي يمكن النظر إليه من جميع الجهات، والبارز كذلك ذو ثلاثة أبعاد لكنه متصل بسطح ذي بعدين (طول وعرض)، توزع عليه الكتل النحتية.

توظيف الخامة وتشكيلها في النحت

إذا ما تفحصنا إي عمل من الأعمال الفنية في الفنون التشكيلية نجد انه موضوع له تركيبته البنائية، وعناصره الأساسية التي لا يستطيع أن يبدو متماسكاً من دونها، ونجده يتضمن خامة فيها مضمون فكري محسوس ينسجم مع مادته، ونجد كذلك انه قد نظم وفق تشكيل معين بدت فيه الأجزاء وهي ذائبة في مركب شامل وهو العمل الفني، وإذا تتبع المرء تاريخ الفن الطويل يجد وبلا شك انه ((لا يمكن أن يكون ثمة منتج فني يخلو من المضمون الفكري. وحتى تلك المنتوجات التي لا يهتم مؤلفها إلا بالشكل ولا يُعنى بالمضمون، يعبر على كل حال، بنحو أو آخر عن فكرة معينة)) (بليخانوف، ١٩٨٣، ٢٧). وعليه فالارتباط وثيق في فن النحت بين الشكل والخامة والمضمون.

يعتمد النحت على تشكيل الخامات المتنوعة والمختلفة بإمكاناتها التشكيلية والتعبيرية، رغم أن الخامة تحدد شكل العمل المنحوت، ولم يقتصر دورها في التطور الصناعي والتكنولوجي في تقديم خامات وتقنيات مبتكرة وغير تقليدية. أن فكرة ((تشكيل الخامات في تركيب التماثيل قديماً توقظ في عقول المتلقين المعاصرين فكرة الحجر أو الرخام الصلب، أكثر مما توحى بفكرة اللحم البشري)) (صاحب، ملحمة العراق، ٢٠١٧، ٢٦٣). وفكرة توظيف التماثيل القديمة، تتلخص بنوع من الحدس لنظام العلاقة بين قدسية الأفكار، وقدسية الخامات في الفهم الاجتماعي، والمقصود بقدسية الخامات هو واقعها المتحرك فوق طبيعتها، التي ارتقت باعتبارها (دوال) تقنية إلى التفسير عن قوى مؤثرة كامنة فيها وهذا كان يستدعي ((السفر البعيد رغم المشقة والكلفة وايضا الوعي، لإحضار مثل هذه الخامات والاحجار الملونة البراقة، لتركيب أنظمة الصور، حتى تفعل دورها التعبيري، ليخلق تعالقاً بين حيوية الخامة الرمزية، وتجلي الفكرة الكامنة فيها، في قصد التأثير في نفوس

الجميع)) (صاحب، الفنون السومرية، ٢٠٠٥، ٨٣-٨٤). وهذا قد يلامس الوعي الجمالي بمساحة تجميع الخامات لبناء جسم التمثال، من أجل تفعيل التعبيرية والتواصلية عبر هذه الخامات الجاهزة والمتنوعة ومدلولاتها لسطح النتاج الجمالي.

ويعد فن النحت من الفنون القديمة، فهو من ((صنع الإنسان الذي استخدم الآلة وأدواته من الحجارة والفؤوس الصغيرة، كمثريه الشكل ذات نهايات مدببة، استخدمت في إنجاز متطلبات حياته اليومية، ومن هنا جاءت تسمية العصور الحجرية)) (صاحب، الفنون السومرية، ٢٠٠٥، ١١). والذي يستطيع التعبير النحتي عنها وبفكر مغاير، الغرض منه هو ترسيخ الحياة العملية في مرحلتها الفردية البدائية، بعيداً عن التعبير لأجل الاستمتاع أو اللهو. ويقصد بمواد النحت ((الخامات الأساسية التي استعملها الإنسان القديم في أعماله الفنية، أيضاً الأدوات التي صنعها واستخدمها في تنفيذ نتاجاته الفنية من رسوم ومنحوتات، وأغلب هذه المواد كان يحصل عليها من الطبيعة ويقوم بأجراء التحويلات عليها لتنفيذ أعماله)) (طه باقر، ١٩٧٣، ١٨٣-١٩٠) وفي الرسومات الموجودة على جدران الكهوف يمكنك أن ترى أفكار الإنسان البدائي، والطريقة التي يصور بها الحياة للجماعات البشرية والواقع الذي يعيشون فيه، والمحاطة بشحنة دينية. الشكل (١).



شكل (١) لوحة تجسد فن الكهوف الذي انتجه الإنسان

ولا تكمن أهمية فن الكهوف في جانبها الجمالي فحسب، بل في كونها كانت تدل على المهارات التي أظهرها البشر في عصور ما قبل التاريخ فيما يتعلق باستخدام مواد مختلفة من الطبيعة كعناصر لأعمالهم. أذ نفذ ((الإنسان أغلب مشاهد النحت على عظام الحيوانات وقرونها وانيابها العاجية)) (صاحب، تاريخ الفن في بلاد وادي الرافدين، ١٩١٩، ١٣). وقد

صورت فنون العصر الحجري القديم الحيوانات البرية مثل الغزلان والرنه وثور البيسون والخيول، وغالباً ما تظهر بجروح بسبب الصيد بأسلحة مثل الرماح أو السهام، جزء كبير من هذه الأعمال والتي هي عبارة عن رسومات تمهيدية. الشكل (٢)



شكل (٢) (كهف لاسو) الفن الصخري في اسبانيا

وفي العصر الحجري الاوسط (العصر الميزوليتي) لم يكن الانسان مضطراً للعيش في الكهوف، فقد شهد هذا العصر بدايات المجتمعات واكتشاف الصوان والمعادن ليكون بداية لاشتغالات النحت، وايضاً في صناعة الفخار الذي عدّ لتخزين المواد الغذائية وتدجين عدد قليل من الحيوانات، وهذا ما استدعى لعمل أوعية فخارية ذات تصاميم تتماشى مع الغرض المطلوب، ومن هذه النقطة بدأت الرؤية الفنية في الانتاج الفخاري لخلق علاقة متبادلة بين المضمون والخامة. الشكل (٣).

أن تصميماً بعينه ومضموناً بعينه يمكن أن يجد أفضل تعبيراً، فيما لو استخدمت مادة بعينها (دون سواها)) (هيغل، ١٠٧، ١٩٨٠). وفي ذلك تأكيد واضح على العلاقة المتبادلة ما بين المضمون والخامة والشكل لإيجاد تعبير للفنان يمكن بلوغه من خلال العمل الفني.



شكل (٣) أنيه فخارية (خامة الطين)

يرى الباحث أن الانسان القديم قد مر بخطوات متدرجة في التطور والنضوج من ناحيتي الأسلوب والموضوع، وذلك يتفق مع تطوره العقلي والحضاري من جهة ومع تزايد

خبراته وتجاربه في الفن وممارسته من جهة أخرى، كما أنه كان متفاعلاً بشكل كبير مع بيئته ومحيطه.

سميت المرحلة الأخيرة من العصر البدائي بـ (الفن الحجري الحديث)، وفي هذه المرحلة، يمكن رؤية الأصنام والشخصيات المتعلقة بالطقوس السحرية والدينية. لذا نرى أن النشاط الفني في العصر الحجري الجديد تم تصنيفه بين فن ديني وفن دنيوي، وهو بيد السحرة والكهنة الذين كان يعهد اليهم بمهام الفن المتعلقة ببناء القبور ونحت الاصنام. الشكل (٤) و(٥)، فضلاً عن أداء الرقصات الدينية. وكان الكهنة والحكام هم أول من استخدموا الفنانين، وأسسوا أهم (الورش) ليعمل فيها الفنانون بوصفهم متطوعين. هذه الظروف قدمت أهم النتائج الفنية في هذا العصر. ومنها أن الكهنة والأسر المالكة كانوا يكلفون الفنان بمهام ضمان الخلاص لأرواحهم وتخليد ذكراهم. ((هذه هي الطريقة التي ارتكز عليها الدين البدائي، وعبادة الموتى. وكما هو الحال في العصر الكلاسيكي القديم، كان معظمها ينصب في الأغوار المظلمة للمعبد، وفي اعماق القبور)) (أرنولد هاووزر، ج١، ٤٦).



شكل (٥)



شكل (٤)

نحت اصنام العصر الحجري الحديث

قبور السلاطين تحفة صخرية

وهناك مرحلة (الفن في العصر المعدني) إذ يعد هذا العصر آخر عصور ما قبل التاريخ، وقد سمي بهذا الاسم لأن إنسان هذا العصر استمر في صناعة أدواته من الحجارة، فضلاً عن استخدام المعادن، ويعد النحاس والرصاص أبرز المعادن التي دخلت في صناعاتهم، وسمي أيضاً هذا العصر في بلاد وادي الرافدين بعصر فجر السلالات، إشارة إلى الجانب السياسي، وازدياد القرى الزراعية واتساع إنتاجها. وفي مرحلة أخرى من هذا العصر، عثر في موقع (تل الصوان)، على عدة قبور وهياكل عظمية وتماثيل آدمية صغيرة غاية في الجمال. الشكل (٦)



شكل رقم (٦) تماثيل من المرمر الشمعي الابيض

وقد كانت أغلب التماثيل تمثل امهات واطفال وقليل من الرجال صنعت من الرخام الألبستر الشمعي الأبيض، والشفاف كالبورسلين، والمعرق بأوعية شعرية صفراء اللون مائلة للون الأزرق، وقد نحتت الأمهات بشكل بدين ومترهل وهذا كان اسلوب النحات العراقي في العصور الحجرية فقد عبر عن الامومة بالبدانة والترهل الذي تصبح عليه المرأة بعد الانجاب كدلالة رمزية لتفعيل فكرة النصب في المجتمعات الانسانية، وتم تطعيم عينيها بحجر ابيض ووضع القار على رأسها ليدل على شعرها، وهكذا استطاع النحات ان يستخدم اكثر من خامه في اعماله النحتية)) (صاحب، ١٩١٩، في بلاد وادي الرافدين، ج١، ٩١). وكما عثر على بيوت مشيدة من اللبن ما يميز أحدها انه كان كبير يعتقد أنه كان معبد ويتميز فخار هذا العصر بكونه ملون بلون واحد هو الأسود الفاتح أو الرصاصي ومزخرف بزخارف هندسية وفي بعض الأواني أشكال حيوانية مبسطة الرسم كالطيور والأسماك والعقارب، وفي حالات قليلة نجد أشكال آدمية تشبه آثارهم التي تركوها. وحقق ((النحت في هذا العصر التركيب الحر في المنحوتات الحجرية التي تقدم صورة لاستعراض يقدم القرابين والحيوانات بقيادة شخص يرتدي خامه من لباس مصنوع من نسيج شفاف مشبك)) (نطوان مورتكات ١٩٧٥، ٤٩ - ٥٠).

ومن الرموز الفنية في هذا العصر هو ((إناء الوركاء النذري يعد واحدا من روائع المتحف العراقي المهمة، كونه يعبر عن خبرة في استعارة مفردات وجوده الطبيعي، وتأويلها على شكل صور رمزية، ترتبط دلالاتها بالأفكار المتحركة، وكذلك في انتقاء خامته التي تعالت عن خصوصيتها الطبيعية بعد أن ضمت في جوفها نبل الموضوع)) (نطوان مورتكات ١٩٧٥، ٢٠). وقد تفتقر الجغرافية الطبيعية لمدينة الوركاء إلى حجر اللوبستر الشمعي الذي صنع منه الإناء النذري. الشكل (٧).



شكل (٧) الأثناء النذري (الرخام)

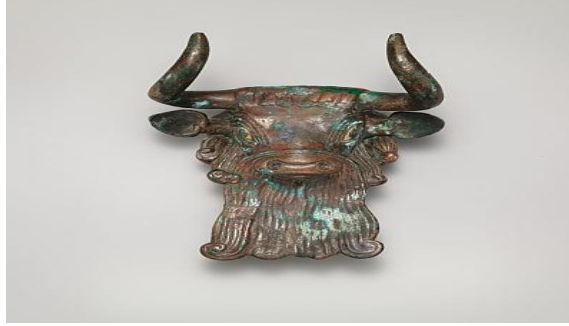
وهناك في مرحلة أخرى من هذا العصر ما يسمى (بالعصر الشبيه بالكتابي)، وبدأت المدن تظهر بشكل واضح في هذا العصر، ومنها: المعابد التي شيدت على مصاطب اصطناعية (الزقورات) وبنيت هذه المعابد من قطع اللبن المربعة. ((مادة اللبن تؤلف العنصر الاساسي لفن العمارة السومرية لينسجم مع نفسية إنسان الشرق الأدنى، وموقفه من الحياة)) (صاحب ، ملحمة العراق، ٣٨٥). ومن أهم مميزات هذا العصر هو اختراع الكتابة لأول مرة في تاريخ الحضارة من قبل السومريين. أزدعت حاجة المعبد في تنظيم إيراداته واكتشاف الكتابة التي تشمل النصوص السومرية المسمارية بين الوثائق الإدارية والنصوص الملكية والإنجازات الأدبية كالتراتيل والتعاويذ والابتهالات، التي عرفت باسم الكتابة المسمارية. الشكل (٨) .



شكل (٨) الكتابة المسمار

على ضوء ذلك يرى الباحث ومن خلال مشاهداته أن جزء كبير من تماثيل الرجال السومرية بسيطة لما يستخدم فيها من خامات في الأزياء أو الملابس المهم هنا هو مدى اهتمام النحات بالقوة التعبيرية التي تظهر على الوجوه.

وكان هناك منافسين لنحاتي الطين والحجر عند السومريين وهم نحاتي المعادن فقد قدموا نحت البرونز والنحاس والذهب والفضة بشكل يختلف عما قدموه نحاتي الحجر فتمثلت اعمالهم في تنويع الاشتغالات الفنية ومنها تماثيل المتعبدين البرونزية والتي عملت في القالب بأسلوب الصب المفرغ. وتفوق نحاتي المعادن من السومريين بسبب قربهم من الطبيعة وتشكيل عدد من رؤوس الثيران من البرونز التي اكتشفت في لكش . الشكل (١٠)



شكل (١٠) نحت المعادن عند السومريون

ولم يقتصر ذلك على معدن البرونز فقط، وقد قاموا باستخدام مواد مختلفة وقيمة في تطعيم منحوتاتهم الفنية التي أصبحت أكثر تأثيراً عندما اضيفت لها هذه الخامات الثمينة مثل الذهب والفضة وحجر اللازوردي . كما هو الحال في منحوتة (الكبش على شجيرة) فنجد شكلاً متقناً للمحاكاة الفنية بمواد مختلفة. الشكل (١١)

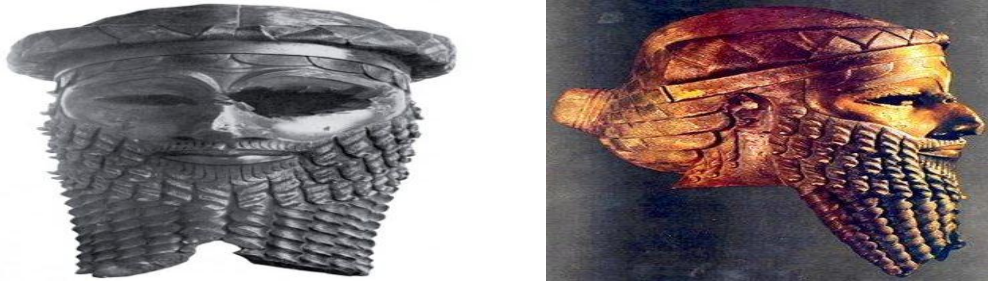


شكل (١١) (كبش على شجيرة خامة الذهب واللازوردي)

((ويوضح الشكل تمثال صغير لكبش يقف على شجيرة تبحث عن الطعام وتتكون الشجرة اوراقها المصنوعة من الذهب ، ويمتاز وجه الكبش وارجله من اوراق الذهب أما اذنيها فتتكون من سبائك النحاس اما القرون والعينان والكتف من خامة اللازورد، فألى جانب الذهب والحجر واللازورد توجد الفضة والصدف الذي يغطي الجسم والعقيق الاحمر))(أندرية بارو، سومر فنونها وحضاراتها، ١٩٩٧، ٢١٢).

وفي أواخر السلطة السياسية السومرية بحدود (٢٣٧١ ق.م) تمكن أحد الحكام توحيد دويلات المدن السومرية لتستقل هذه الدويلات، وبعد صراعات مختلفة بدأ عهد جديد للدولة الأكديّة، وانطلقت معها الروائع الفنية الأكديّة مثل الرأس البرونزي لسرجون الأكدي الذي يعتبر واحد من ((اهم الاعمال الفنية الاكديّة التي اكتشفت في محافظة نينوى، فالرأس هو الشاهد الوحيد على فن النحت الأكدي للمعادن والمتطور تطوراً سامياً ابتداءً بالسباكة المجوفة

وانتهاء بدق النقوش على المعادن ((انطوان مورتكات، ص ١٧٨)). ومن الملاحظ ان هذا الرأس صنع من مادة البرونز كان مثبتاً على تمثال من حجر او خشب مغلف بقماش او خامه من الذهب على عادة اهل البلاد في حين كان يظهر على المنحوتة مدى الاهتمام المبالغ بالصنعة الحرفية العالية التي توصل اليها الفنان الأكدي، أذ أن طريقة الصب بحد ذاتها تعد طفرة نوعية في تاريخ فن النحت الأكدي الذي يجعلنا هنا ان نقف حائرين حتى وان كانت العينان المشعّتان قد فقّتا لان محجريهما فارغان وان احدهما قد تعرضت للتخريب بصورة متعمدة ومع ذلك فأن هذا الوجه البرونزي لم يفقد اي صفه من صفاته النبيلة فهناك بسمه خفيفة تغدو صارمه ((وتدل على الشفتين اللدنتين الرقيقتين وشُدُّ شعر الراس وثيقاً حول جبهته وعقد في قفا رقبته في شكل لمة بثلاث حلقات من الذهب وبلحيته المجددة بشكل قصات حلزونية متقنه)) (صاحب، مملكة الفن، ٢٢٧). فأصبح سرجون يحتل مكانه في صف العظماء من الحكام الذين اقتبس منهم لباس راسه. الشكل (١٢)



شكل (١٢) الرأس البرونزي (النحاس)

لقد كانت البنية الفكرية لحضارة العصر الأكدي من بلاد الرافدين تشكل تحولات هامة في بنيتها الكلية عن الحضارة السابقة أي (الحضارة السومرية) فأن اردنا فهم معنى التحول على انه تغيير من حال الى آخر بعيدا عن التطور والنكوص في ذلك العصر وبإمكاننا ان نقول ان بنية الحضارة السومرية التي شكلتها العوامل الفكرية الضاغطة والمتبادلة للتفاعل اهمها: ((هيمنة المعتقدات الدينية، وانعكاسات اشتراطات البيئة الطبيعية و سطوة الحكام وغيرها، قد تخلخلت انظمتها بسبب تخلل اهمية تلك العوامل الضاغطة)) (صاحب، أسطورة الزمن القريب، ٢٠١٠، ١١). أدى الامر الى ولادة بنية فكرية جديدة عند الاكديين يسيطر عليها نظام هام هي سطوة الملوك في تشكيل الفكر الذين لقبوا انفسهم بألقاب الإلهة، أما المنجزات التشكيلية عند الأكديين قسمت الى صنفين ، هما المنجزات التشكيلية التي تعود

للملكية الرسمية والتي تمثل أبنية القصور والمنحوتات البارزة اما الصنف الاخر يتضمن الابداعات الفنية (الشعبية) ومنها الاختام الأسطوانية.

عديدة هي الاكتشافات الحديثة التي خلقت شعوراً واسعاً، وهذا ما قد يحقق الدهشة وخاصة في عوالم العصر الآشوري في سنة ألف قبل الميلاد، وذلك عندما تم نصب الثيران المجنحة ذات الرؤوس البشرية والعيون الجامدة فقد توغل الخوف للملوك الآشوريين من الموت وهذا ما جعلهم يعتمدوا على قوات مدربة تدريباً جيداً لحمايتهم ويضعوا ايضاً عند مداخل قصورهم ((ثيراناً هائلة ذات رؤوس بشرية وظيفتها حراسة الملك دون انقطاع، في حين كان الجن على جدران الباحات والممرات، تعزز الحرس البشري حيث يظهر الثور في هذه الصورة بخمسة ارجل ويعتقد انه رمز للثور المقدس ومن يرى الثور من الامام يهابه لوقوف الثور امامه في وضع الاستعداد)) (اندرية بارو، ١٩٨٠، ١١). الشكل (١٣).



شكل (١٣) الثور المجنح (رخام ابيض اللون)

تنوعت خامات الاعمال الفنية لهذا العصر باختلاف الحجر والمرمر والجبس وأحجار الحلان والكلس الذي يستخرج من المقالع المحلية التي يسهل نحتها بوصفها من الاحجار الهشة نسبياً. لذا مال النحاتون الاشوريون إلى ((استخدام النحت البارز أكثر من استخدامهم للنحت المجسم لأنهم يستطيعون من خلاله وبفضل خصائصه الفنية من تصوير اعمال البطولات التي قدمها ملوكهم بالتالي كان النحاتون يعملون تحت ضغط الملوك لأجل تمجيدهم)) (صاحب،

امبراطورية الابداع، ٢٠١٨، ٤٣٧، ١١، ١٢، ١٤)



شكل (١٤) منحوتات اشورية بارزة (رامي بالقوس من على ظهر حصان) ويوجد في (خرسباد) تمثال كلكامش بوجه كامل وهو يمسك بشبل اسد، الشكل (١٥)، وقد وقف بين لوحين مزينين برسومي ثورين، وايضا يظهر الذين يسمح لهم بعد اجتياز الثيران التي تحرس البوابة بالدخول الى القصر والثيران هي عبارة عن نتاجات تتكون خامتها من حجر السيتيتايت من لكش وقد اضيفت لها اجنحة وبالتالي تكون مصدر رؤية لمخلوقات مركبة تتكون من مظاهر لإنسان واسد ونسر وثور.



شكل (١٥) تمثال كلكامش وهو يمسك بشبل اسد ويرى الباحث قد استعملت خامات مختلفة ومتعددة في العصر الآشوري ومنها ما يدخل في صناعة البرونز الذي كان يعد من الاعمال المهمة والمزدهرة ومنها الاسود البرونزية ذات الحلقات الخارجية.

وكانت الحضرة غنية بالمنحوتات، فقد وجدت في معابدها مجاميع كبيرة من أصنام الآلهة المختلفة وتمائيل لأفراد من العائلة الحاكمة فيها من رجال الدين وأرباب المال وقادة الجيش. مصنوعة من خامات حجرية موجودة في محيط مدينة الحضر، فهناك ((حجر الكلس الذي يعرف باسم حجر الحلان هو أسمر اللون عسلي فاتح، والثاني هو الرخام الموصل الذي يكون لونه رمادي فاتح، رغم أنه أحياناً أبيض في عروق رمادية)) (صاحب، امبراطورية الابداع، ٢٠١٨، ٥٢). واقامت التماثيل من الحجر الكلسي في ساحات المعبد الكبير والتماثيل المصنوعة من الرخام الاسمر نصبت داخل الدواوين. الشكل (١٦)



الشكل (١٦) الهة جالسة من الرخام الاسمر

وقد عثر على بعض تماثيل الاشخاص داخل المعابد الصغيرة واخذ النحت في هذا العصر ينحرف قليلاً، لتهيمن عليه زخرفة الملابس المتناظرة في واجهة القميص وفردتي السروال، كما اصبحت التماثيل ساكنة او قليلة الحركة، واصبح النحت تقليدياً، الغرض منه تمثيل الشخص بسمائه المميزة له في حضرة الآلهة بوقفة فيها ارتخاء الرجل اليسرى وانتفاخ البطن والنظر دائماً إلى الامام ورفع اليد او الامساك بمبخرة وهي طقوس تعبدية يقوم بها المتعبد للإله. الشكل (١٧) (١٨).



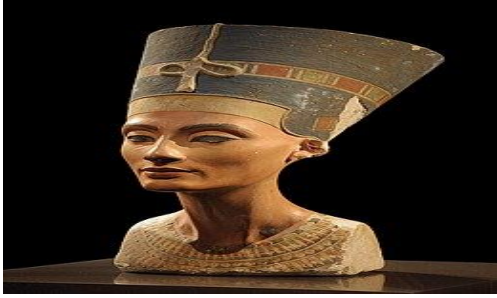
شكل (١٨) من حجر الكلس



شكل (١٧) من حجر الكلس

وعند الانتقال الى حضارات اخرى مثل الحضارة المصرية نجد ان الفن المصري عبر عن ما افرزته الحقيقة الحضارية والفنية لمصر القديمة، أو ما يسمى بالعصر الفرعوني، فقد أهتموا بالنيل لأنه مصدر الخير لجميع الناس يروي الحقول والقرى التي تغذي الناس، ويستمدوا منها الزراعة والحيوانات وهو ما ادى الى تشكيل رمز لما تصوره بأن العالم خلق من طين الأرض، وهذا ينزاح إلى الاسطورة وما تذهب اليه بأن الروح لا تقنى بفناء الجسد. ((ولأن فرعون كان من الآلهة، فقد حرص على حفظ روحه في قبور ضخمة ليس بالإمكان شروء النفس منها، فكان حفظها في الأهرامات مظهراً مادياً لسرمدية الروح الالهية التي كانت في فرعون)) (عفيف البهنسي، الفنون القديمة، ٤٨) ، وبالتالي كان فرعون يمنح البركة الالهية الى ذويه واتباعه المخلص ١٩٨٢ين عن طريق حفظ ارواحهم من الشرود بعد الموت، فيقيم لهم المصاطب الضخمة أو يسمح بدفنهم في مقبرته. وظهر بعد ذلك اثر الانقلاب الأخناتوني واضحة في الفن، وداخل المعابد المفتوحة إلى السماء والشمس، واختفت الضخامة من اعمال

النحت، ولم تعد قبور المعابد، بل أصبحت مجرد قبور لا أهمية لها، وفي التصوير والنحت أصبحت القامات أكثر تسامياً، وإيضاً أصبحت تمتاز بعمق النظرة وبمحاكاة الطبيعة وبالروحانية، لذا نرى تمثال (اخناتون) لم يعد ذو جلاله وروعة الهية فقط بل أصبحت دلالاته بشرية رفيعة. الشكل (١٩) ، أما رأس زوجته (نفرتيتي) فيه ملامح الجمال والسحر ما يجعل هذا التمثال من أروع الآثار الواقعية في تاريخ الفن وهو من خامه الحجر الكلسي الملون، ويعلو الرأس تاج ملون بالأزرق الفاتح يزخره حزام من الذهب المرصع. الشكل (٢٠)



شكل (٢٠)

رأس نفرتيتي (الحجر الكلسي)



شكل (١٩)

تمثال اخناتون

(الملون)

وعمل المصريون على بناء المعابد ذات الجدران المائلة ليحفظ فيها الجثث حتى يخلدوها، وتوضع إلى جانب القبور تماثيل مصنوعة من خامات ومواد قاسية لتحل محل المومياة في العالم الدنيوي، ايضاً كانوا ينحتون على جدران الهياكل والقبور مناظر تاريخية ودينية وعائلية. وصُنعت التماثيل من خامات ومواد الحجر والمعدن والطين.

وعند الانتقال الى نماذج النحت في حضارتي اليونان والاعريق، نجد فيها فن النحت من أكثر الفنون انتشاراً وتعبيراً عن الجو المحيط مع اختلاف غرض الاستخدام، حيث كان ((التنظيم لدى النحات يبدأ بالمادة كالحجر والخشب والمعدن والطين وغيرها من المواد تمر بعمليات متعددة قبل أن تتخذ شكلها وموقعها النهائي في العمل المنجز)) (ناثان نوبلر، ١٩٩٢، ١٧١). وعادة ما يقصد في النواحي الدينية التعبير عن الآلهة المختلفة الخاصة بهم. وظهرت

الأصنام في العديد من الثقافات، بالرغم من أنها في كثير من الأحيان ليست كالتماثيل الضخمة من الآلهة التي ميزت الفن اليوناني القديم مثل تمثال (زيوس) في أوليمبيا. الشكل (٢١) .



شكل (٢١) تمثال زيوس (من خامة الرخام)

لقد استطاع فنان عصر الإغريق ان يسيطر على فنون النحت في تلك الفترة زمناً طويلاً من خلال أعماله النحتية التي ركزت على إظهار جمال الجسم البشري وهو عارياً حيث مثلت الواقع من خلال حركات الجسم وظهرت ملامح الوجه في تجسيد التماثيل بجعلها أكثر واقعية، فضلاً عن حجم التماثيل الذي أصبح منسجماً مع مساحة المدينة، كما اهتم الفنان الاغريقي بالفن التشكيلي عبر العمق، وتدقيق المقاييس والنسب التي تساعد على التأليف والإيقاع، ومن ثم تنفيذ تماثيل شبه واقعية

وايضاً اعتمدت اشتغالات الفنان الاغريقي في العمارة والنحت على خامات متعددة ومختلفة منها ((حجرية رخامية وايضاً من رخام باروس والرخام الابيض المأخوذ من نحافر بانتيليك، والبرونز والمعادن المختلطة، واهتم بشكل الاقمشة اللينة)) (عفيف البهنسي، الفنون القديمة، ١٩٤٠، ١٨٣) وهذا جاء نتيجة قرب الفنان الاغريقي من الطبيعة، واهتم بإبراز جمال الجسم وحركات العضلات بما يجسد المحاكاة والشبه. وأن التماثيل العاجية في اسبارطة وايضاً التماثيل البرونزية التي عثر عليها في اثينا وغيرها من التماثيل الطينية، هي شواهد أولى عن النحت الاغر



شكل (٢٢) فن النحت الاغريقي (من خامة الرخام)

وعديدة هي الخامات التي استخدمت في النحت عند الاغريق منها الخشب، رغم أن هذه الاعمال قد تتلف بسرعة، والبرونز لأهميته وايضاً الرخام لجمال رونقه الجذاب وايضا لصلابته، والحجر الجيري الذي يكون أقل صلابة من الرخام، والطين المحروق الذي يخلط مع كمية من الرمل، والمعادن الثمينة مثل الذهب والفضة، ومثال على ذلك ((التمثال البرونزي الذي يصور رجل عاري الا من غطاء الرأس الذي يشبه القبعة وحزام على شكل خيط لف عدة لفات حول الجسم وفوق الظهر)) (الشاوي، ب.ط، ٢٢) .

وكما أن بلاد اليونان امتازت في ((البناء الحجري المغطى ببلاط ملون ومزين بجدارية ملونة موضوعها اسماك أو حيوانات زخرفية، وتماثيل من المعدن ومنها بدائية وهندسية خامتها من الحجر والرخام)) (عفيف البهنسي، الفنون القديمة، ١٩٨٢، ١٧٥-١٧٦). اما في المرحلة الرومانية التي سيطرت على فن النحت من خلال ابرازها للمنحوتات الأكثر واقعية في تلك الفترة والتي تعنى بإظهار المعالم الفردية للشخصيات وبعد ذلك هجرة عدد من النحاتين الإغريق الى روما حيث برز مدى تأثر فن النحت الروماني بالفن الإغريقي واضحاً من خلال نحتهم بإظهار الملامح في الاعمال تبعاً لمناطق انتمائهم وعروقهم ولان الرومان كانوا يستخدمون النحاتين الاغريق كحرفيين عاديين شأنهم شأن العبيد لإنجاز اعمالهم النحتية ومع ذلك قامت روما بتسجيل بعض اسماء النحاتين الرومان اللذين تأثروا بالفن الإغريقي اللذين استطاعوا التوافق بين النحت الاغريقي والروماني حيث اصبح النحت اكثر واقعيّاً وتعبيراً شديد الشبه بالأصل من خلال تجسيد معظم تماثيل الإلهة والأبطال الأسطوريين هي نسخ رومانية من اصل اغريقي وايضاً اهتم الرومان بنحت التماثيل المرتدية وأهملوا العارية. الشكل (٢٣)، ومن خلال هذا وجد فن النحت في اعمالهم التي جسدت ذواتهم، رغم أن فن النحت في ذلك الوقت كان خاضع للنظرة الاخلاقية لطبقة النبلاء.



شكل (٢٣) تمثال يبرز زياً رومانياً

وكما هو فن النحت في عصر النهضة في مدينة فلورنسا الإيطالية، في القرن الخامس عشر الميلادي، إذ تأثر هذا الفن بالنحت الكلاسيكي، رغم أن فلورنسا من بين أكبر وأغنى المدن في أوروبا، لكنها تميزت بفن النحت الذي أصبح عنصراً مهماً من مراكز المدن التاريخية، وأصبحت المنحوتات الشخصية، وخاصة التماثيل التي تحظى بشعبية كبيرة، وخاصة أعمال النحات دوناتيلو الذي كان ((نموذجاً رائعاً لفنان خارق في نحت تماثيل القديسين التي قدمها في رسومه)) (عفيف البهنسي، الفن في اوربا، ٢٣). الشكل (٢٤).



شكل (٢٤) عمل للنحات دوناتيلو (خامة الحجر)

ويتميز ايضاً فن النحت في عصر النهضة بالواقعية المادية والتكوين الكلاسيكي، الذي بلغ ذروته في التوازن الكلاسيكي والانسجام، مما سمح لهذا الفن بدمج ووجود التعقيد والديناميكية، واشتهر هذا الفن عبر تصميم (بوابات الجنة)، بشكل زوج من الأبواب البرونزية لمعمودية فلورنسا، وتتكون الألواح لهذه الأبواب من عشرة مشاهد توراتية تم تقديمها بواقعية. وايضاً إدخال الأشكال الزخرفية ذات الأصل الكلاسيكي في بعض الأحيان في النحت الديني الشكل (٢٥) و (٢٦).



شكل (٢٥) الابواب الجنوبية للمعمودية شكل (٢٦) الابواب الجنوبية لمعمودية

المسيح

على ضوء ذلك يرى الباحث أن الخامة في فن النحت وعبر العصور التاريخية، حددت وفق رؤية الإنسان أو الفنان الذي جسدها أو جعلها تخضع لإرادته، وتصوره الفني، فهي بالتالي تعتبر (المادة) المأخوذة من الطبيعة، كما تعتبر هي العنصر الأساس لبناء اي عمل الفني، ومن دونها يبقى ساكن في خيال الفنان، فالخامة تحقق للعمل الفني وجوده المادي، وتجسد الصور التي يريد الفنان التعبير عنها.

وعندما نشغل على توظيف عدة أساليب عند استخدام خامات في عملية التنفيذ، لابد أن يكون استخدام الخامات بشكل متجانس، وتحمل طبيعة واحدة أو أصول مختلفة، تتماشى وتتلاءم مع بعضها البعض، بالاستعانة بمكملات تساعد على إظهار جمال العمل الفني المشغول بالخامات المتجانسة وتوظيفها، وتكون غالباً من خامة مختلفة حتى يظهر التباين بين الخامات.

نتائج وملخص البحث:

يتضح دور الفنان في بلورة وصياغة الاساليب الادائية لتشكيل الخامات لصياغة عمل فني له صفات فكرية تعبيرية تجسدها الخامة عبر فكر الفنان ليصل العمل الفني الى شكله النهائي ذا مضمون تعبيرى .

المصادر:

- ١ - معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي. <https://www.almaany.com>
- ٢ - كلود عبيد، الفن التشكيلي، نقد الإبداع و إبداع النقد، دار الفكر اللبناني، بيروت، ٢٠٠٥.
- ٣ - ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، ج٢، بيروت، (ب.ت).
- ٤ - بليخانوف، الفن والحياة الاجتماعية، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٣.
- ٥ - زهير صاحب، ملحمة العراق، دراسة في فنون عصر فجر الحضارة العراقية، دار الكتب والوثائق (٢٤١٤)، بغداد، ٢٠١٧.

- ٦ - زهير صاحب، الفنون السومرية، سلسلة عشتار الثقافية، إصدار جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين، دار ايكال للطباعة والتصميم، بغداد، ٢٠٠٥.
- ٧ - طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٧٣.
- ٨ - هيغل، فن النحت، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٠.
- ٩ - أرنولد هاويز، الفن والمجتمع عبر التاريخ، ترجمة: فؤاد زكريا، ج١.
- ١٠ - زهير صاحب، تاريخ الفن في بلاد وادي الرافدين، دار الرافدين، بيروت، ط١، ج١، ١٩١٩.
- ١١ - انطوان مورتكات، الفن في العراق القديم، ترجمة وتعليق: عيسى سلمان، سليم طه، وزارة الاعلام، سلسلة الكتب الفنية، مطبعة الاديب البغدادية ، ١٩٧٥.
- ١٢ - أندريه بارو، سومر فنونها وحضاراتها، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٩٧م.
- ١٣ - زهير صاحب، أسطورة الزمن القريب، بغداد، دار الاصدقاء، ط١، ٢٠١٠.
- ١٤ - زهير صاحب، امبراطورية الابداع ، دراسة في فنون العصور الامبراطورية بالحضارة العراقية، دار الكتب الوثائق، (١٣٨٤)، بغداد، ٢٠١٨.
- ١٥ - أندريه بارو، بلاد اشور، ترجمة: عيسى سلمان، سليم طه، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.
- ١٦ - عفيف البهنسي، موسوعة تاريخ الفن والعمارة، الفنون القديمة، دار الرائد اللبناني، المجلد الأول، ط١، لبنان، ١٩٨٢.
- ١٨ - ناثن نوبلر، حوار الرؤية : مدخل إلى تذوق الفن و التجربة الجمالية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٢.
- ١٩ - الشاوي ناصر عبد الواحد ، تاريخ الفن الاغريقي ، ب.ط.
- ٢٠ - عفيف البهنسي، موسوعة تاريخ الفن والعمارة، الفن في اوربا، المجلد الثاني، ١٩٨٢.